أثر العادات والتقاليد على المرأة الكربلائية

١٨٣١ - ١٩١٤م

المدرس المساعد

ياسمين سلمان عبد عون الطرفي

كلية العلوم الاسلامية - جامعة وارث الأنبياء

zenbga58@gmail.com

الملخص

لم تكن عزلة المرأة في مدينة كربلاء تقتصر على محيطها الاجتماعي بل كانت داخل المنزل كذلك، ولم يكن لها منفذاً للترويح عن نفسها أو الخروج سوى بالذهاب الى الحمامات العامة، شرط أن يغطيها الحجاب من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، حتى ليتعذر على زوجها معرفتها إذا ما صادفها في الطريق. أما فيما يتعلق بالزواج فلم يكن لها في تلك الحقبة أي رأي في زواجها، فقد كان الـزوج يُفرض عليها، وهو غالباً ما يكون ابن العم أو أحد الأقارب، أي تزويجها دون موافقتها، او وفق ما متعارف عليه في التقاليد العشائرية فتاة مقابل فتاة. اذ أُلغيت شخصية الفتاة داخل العائلة في اتخاذ القرارات التي تتعلق بها، ومن الممكن أن يتخذ أخوها الأصغر منها سناً القرار بالنيابة عنها لمجرد أنه ذكر. أما مسألة التعليم فلم تكن أقل وطأة عليها مما عليه الزواج، فقد كانت فرص التعليم حكراً على الرجال، أما الفرص الضئيلة والحقيقية لتعليم المرأة فكانت تخضع لتقاليد صارمة يرى المجتمع آنذاك في التعليم مفسدة للنساء. وبقيت على هذا الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر.

الكلمات المفتاحية: عـادات، تقاليد، المـرآة، المجتمع، الريف، المدينة.

The role of customs and traditions on women in the holy city of Karbala during 1831-1914 AD

Assistant lecturer

Yasemin Salman Abd oun al- Turfi

College of Islamic Sciences - Warith Al-Anbiyaa University

Abstract

The isolation of the woman in the holy city of Karbala was not limited to her social surroundings, but was inside the house as well. She had no outlet of recreation or to go out except by going to the public baths, provided that the veil covers her from head to toe, so that even her husband is unable to identify her if he encountered her on the way. As for marriage, she did not have any say in her marriage at back then, as the husband was being imposed on her, and he was often a cousin or a relative, that is, to marry her without her consent, or according to tribal traditions, a bride for a bride. As the girl's personality within the family was abolished in terms if making decisions that related to her, it is possible that her younger sibling would take the decision on her behalf just because he was a male. As for education, it was not less burdensome than marriage, for educational opportunities were restricted to men, and the nominal and real opportunities for women education were subject to strict traditions as society at the time saw in

education as a corruption for women. The situation remained this way until the end of the nineteenth century.

Key words: customs, traditions, women, society, countryside, city.

المقدمة

خضع العراق لسيطرة الدولة العثمانية لمدة قاربت الأربعة قرون، وتميز حكم الولاة العثمانيين الذين تولوا إدارة العراق بالتخلف وإهمال الإصلاحات في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية طوال سنوات حكمهم باستثناء قلة من الولاة المصلحين من أمثال (مدحت باشا)، وانعكس ذلك على الوضع في العراق بشكل عام، حيث لم يهتم الولاة الذين حكموا العراق بأمور البلاد التي عانى أهلها من تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

مثَّل استقرار العشائر في مدينة كربلاء، العصب المركزي لكيانها السياسي والاجتماعي، فضلاً عن وقوعها على مجرى نهر الفرات وقربها من مدينتي بغداد والنجف المقدسة جعلها مركزاً تجارياً رائعاً ومحطة لإستقبال زوار العتبات المقدسة، وقد ساهم ذلك في زيادة التفاعل الاجتماعي بين أفرادها. وقد بقيت المـرأة في مجتمع مدينة كربلاء طـوال العهد العثماني أسيرة العادات والتقاليد البالية التي حرمتها من قيمتها البشرية، إذ كان ينظر اليها باعتبارها أقل من مستوى الرجل، ولم تر العالم إلا من خلال الحجاب الذي ترتديه، كما أن ذكر المرأة في المجالس العامة كان يعد خروجاً عن الأدب، لذلك نجد أن أغلب النصوص الأدبية كانت تذكر نساءً من بنات أفكار الشعراء والأدبـاء، أو أنهم كانوا يلجأون في بعض الأحيان الى ذكر شهيرات النساء في التاريخ دون التطرق الى أسمائهن.

وتـأتي اهميـة البحث مـن خـلال ان الـعـادات والتقاليد معًا تشكّلان ثقافة المجتمعات وتؤثران بشكل كبير على سلوك أبنائه، ولهذا التأثير جانب سلبي وآخـر إيجـابي حسب الشكل الـذي يتعامل به الشخص مع هذه العادات والتقاليد، فالآثار الإيجابية للعادات والتقاليد تكمن في المحافظة على الأخلاق في المجتمع فلكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات، وللعادات والتقاليد كذلك جوانب سلبية لا يمكن أن نغفل عنها، ومن أهم هذه الجوانب السلبية نذكر منها: إعاقة التقدم المجتمعي ففي كثير من الأحيان يمتنع أفراد المجتمع عن فعل أمر ما لأنّه في نظرهم يعارض العادات والتقاليد، مثل بعض المجتمعات كمجتمع مدينة كربلاء في تلك الفترة التي تمنع عمل المرأة او تعليمها أو مشاركتها في الأعمال التطوعية وغيرها من الأمور.

وقـد قسم البحث الى مباحث ثلاثة؛ الأول: تأثير العادات والتقاليد على زواج المرأة الكربلائية، أما المبحث الثاني فقد بين تأثير العادات والتقاليد على تعليم المرأة الكربلائية، والمبحث الثالث: تأثير العادات والتقاليد على ملابس المرأة الكربلائية.

المبحث الأول: تأثير العادات والتقاليد على زواج المرأة الكربلائية.

العادات: لغوياً، هي جمع عادة وجاءت من الفعل تعود تعويداً، ومعنى هذه الكلمة ومفهومها الدارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها وتكرر عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً[١]. والعادة إصطلاحاً: هي ما اعتاد عليه الإنسان اي يعود إليه مراراً وتكراراً. والعرب يكرهون إنشاء العادات الجديدة خشية على عاداتهم المتوارثة وخوفاً من أن يكون في هذه العادات الجديدة ما يفقد مجتمعهم بعض المواصفات الكريمة التي يحبذون بقاءها حية فيه فيقولون في ذلك: إبطل عادة ولاتنشئ عادة[٢].

أما التقاليد: لغوياً، فتعني العادات المتوارثة من السلف الى الخلف. وفي معجم العلوم الاجتماعية، تعني طرائق السلوك المستقلة في وجودها عن الفرد وتفرض نفسها عليه وتحقق الإندماج التام بين عناصر المجتمع، أي إنها من صنع الماضي ودعامة الحاضر، وهي عنصر مهم في السلوك والتربية[٣].

ولايخفى على أحد الدور الكبير الذي لعبته المجتمعات العشائرية في ريف مدينة كربلاء، في الحفاظ على الكثير من تقاليدها وعاداتها الأصيلة، التي تنتمي في جذورها الى الأعراف العربية العريقة، التي توارثتها الأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل. فقد شهدت مدينة كربلاء مرحلتين مهمتين على صعيد تطورها التاريخي، فالمرحلة الأولى تمتد من عام (١٨٦٩م)، حتى بداية الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م)، في حين تمتد المرحلة الثانية من بداية فترة الإنتداب البريطاني عام (١٩٢١م)، وحتى قيام ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨م)، وخلال المرحلة الأولى احتفظت مدينة كربلاء بعاداتها وتقاليدها الاجتماعية التي لاتختلف عن عادات وتقاليد مدن العراق الأخرى[٤].

اولاً: الزواج في الريف: كانت المرأة في ريف كربلاء شأنها شأن المرأة العراقية عموماً، إذ عانت كثيراً من ضروب الإضطهاد والإستغلال والإستعباد والتخلف، فقد سيطرت على أبناء الريف الروح القبلية والعرف العشائري والعادات والتقاليد البالية التي لا تعطي للمرأة قيمة بشرية ونظروا إليها في مستوى أدنى من مستوى الرجل[٥]. شاركت المرأة الريفية الرجل في بؤسه وعمله الشاق، فضلاً عن واجباتها المنزلية والزوجية الأخرى، وفي بعض الأحيان قامت بأعمال أكثر مما قام بها الرجل، ففي داخل المنزل تنهض مبكراً لتحلب الأبقار وتعلفها وتنظف حضيرتها ومن ثم تهتم بإعداد وتحضير طعام الأسرة بطحن الحبوب وتهيئة الخبز والقيام بأعمال الطبخ وجلب المياه من الأنهار أو الآبار أو الينابيع وغيرها. وفي خارجه فهي مزارعة شاركت في عملية الحراثة والزراعة والحصاد وجني المحاصيل ورعي الماشية ورعاية الحيوانات، فهي محور الحياة الاجتماعية ومع ذلك فإنها كانت عرضة للإهانة والضرب من قبل الرجل الذي لايتردد فيضربها بأشكال قاسية

أحياناً ولإمور تافهة وبسيطة جداً[٦].

عدّ المجتمع الريفي إن شرف الأسرة والعشيرة مرهون بها دائماً، فإنها كانت مقياساً للشرف وعنوان العزة والكرامة والعار كل العار إن زلت قدمها، فحينها ستلقى مصيرها المحتوم (الموت) تخلصاً من تلك الوصمة المشينة، ولهذا تثار نخوة الرجال من أبناء العشائر عندما يتناخون بـ (إخوة فاطمة) أو (إخوة هدلة) وغير ذلك وفقاً لنخوة كل عشيرة في مواجهة خطر ما[٧]. أما عن حريتها فقد خضعت لذات المقاييس الاجتماعية في إطار الثقافة العامة، فقد كانت مسألة الإختلاط بين الجنسين تكاد تكون مسألة طبيعية ولكن في حدود العمل الزراعي، فالمرأة كانت تقوم بهذه الأعمال في نطاق ديرة العشيرة وبين أبنائها ولهذا فقد تمتعت بحرية أوسع نطاقاً من حرية المرأة في المدينة، فهي تخرج الى المدينة لوحدها في بعض الأحيان لتبيع بعض المنتجات الحيوانية كالبيض والدجاج والحليب واللبن لاسيما في المناطق القريبة من مركز المدينة، إلا إن هذه الحرية لم تكن مطلقة لإنها تعرف سلفاً ثمن خرقها لها، وذلك لإن المساس بسمعتها لايعنيها وحدها، وإنما يعني كل أفراد العشيرة ولذلك فإن حصانتها هي نتيجة لنشأتها الاجتماعية[٨].

على الرغم من ذلك كله فقد استخدمت كبضاعة ودفعت ثمناً لحالة الجرم التي ارتكبها أحد أفراد أسرتها أو عشيرتها مع الأفراد أو العشائر الأخرى حينما تدفع كفصل (دية)، وبذلك يصبح حالها في ذلك حال المال أو الغلة الزراعية أو ماشابه ذلك، كما استخدمت في شكل آخر من أشكال الصفقات الخاصة بالزواج وذلك لإن ثقافة المجتمع الريفي ثقافة جامدة وبطيئة في أحسن الأحوال[٩].

فالزواج: ظاهرة من ظواهر الإرتباط بين الرجل والمرأة، تجعل الذين يولدون نتيجة لتلك الرابطة نسلاً شرعياً معترفاً به لكل واحد من الوالدين. وهو نظام إجتماعي الغرض منه تكوين العائلة، ويترتب عليه الكثير من الحقوق والواجبات، وهو واجب ديني حتمته الشريعة الإسلامية على المؤمنين كافة. تيسرت وسائل التعارف والخطبة في مجتمع القرية، بحكم الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية التي شجعت إختلاط كلا الجنسين في المناسبات العامة، كالأعياد والأفراح والأحزان، وفي أعمال الأرض، كالحراثة والتذرية والحصاد والتحطيب وجني الثمار وغيرها، فاللقاءات بين الرجل والمرأة تكون مباشرة، وجهاً لوجه، الأمر الذي ساعد على تبادل العلاقات النزيهة البعيدة عن المغامرات العاطفية المشينة، فهي مبنية في الغالب على حب برئ يهدف الى الزواج، ومع هذا نادراً ما تحدث بعض الحالات الشاذة المخلة بالشرف والتي يعاقب مرتكبوها وفق العرف العشائري السائد لدى العشائر. لم يكن للمرأة أي حق في إختيار الرجل الذي ترغب الزواج به، كما لا يسمع رأيها الا في بعض الحالات النادرة، ومحضورٌ عليها إرتباطها بأي علاقة بالجنس الآخر قبل الزواج، وإن حصول التعارف والخطبة والزواج غالباً ما يتم بين الأقارب

سواءً من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو بين أفراد الوحدة العشائرية[١٠].

ولا يحق لأي بنت أن تتزوج من خارج وحدتها العشائرية إلا بعد أخذ الإذن والموافقة من أهلها وأعمامها وأقربائها، وفي مقابل ذلك يحق لرجال الوحدة العشائرية الـزواج من فتيات من خارج العشيرة بعد موافقة ذويهـا، ومع ذلك فإن أغلب حالات الزواج في الريف كانت من بنات العم (أخ الأب)، أو من بنات العم بالمعنى الواسع[١١]. ويتم الزواج في الريف بين أعضاء المرتبة الواحدة، وقد تحصل في بعض الأحيان زواج أحد رؤساء الأفخاذ من ملاكي الأراضي بفلاحة من وحدته العشائرية أو من وحدات عشائرية أخرى، وفي هذه الحالة فإنه يعرض نفسه للسخرية من قبل أقاربه وسكان قريته. أما زواج فلاح بسيط ببنت رئيس وحدة عشائرية أو ملاك أرض فلا أثر لوجوده في مجتمعهم. وإن محور عملية إختيار الزوجة، هو الشرف والنسب العشائري الرفيع، أما بقية الإعتبارات كالثروة والجـمال فإنها تأتي بالمرتبة الثانية، ومن المتعارف بين أبناء الريف هو عدم زواجهم من بنت الحائك (النساج)، أو كما يسمى في القرية (بالحايج)، الذي يحوك مختلف الأقمشة الصوفية بواسطة آلة مصممة خصيصاً لـذلـك[١٢]. أو العطار أو بائع اللبن أو الحساوي (زارع الخضر)، وذلك لأنهم يعتقدون إن الحائك رجل جبان لا يمكنه العراك، لهذا يقولون عنه في أمثالهم: (أربعين حايج ماكتلو فارة)، وأما العطار فهو الآخر لا يتمكن من الكر والفر وكذلك الحال بالنسبة لبائع اللبن، أما زارع الخضر، فقد نظر سكان العشائر لهذه المهنة باحتقار وأطلقوا عليهم لقب (حساوية)[١٣].

فهم لايزوجون بناتهم لمن يـمارس زراعـة هذه الأنـواع الأربعة من الخـضروات وهـي، (البصل، الفجل، الكرفس، الكراث)، والإحتقار في هذه الحالة جاء من ثمن الخضروات الزهيد جداً والذي لا يتناسب حسب إعتقادهم والجهد المبذول في زراعتها، واللجوء إليها يدل على تدني مستوى الفرد الاقتصادي والذي ينشأ عنه فيما بعد تردي وضعه الاجتماعي بين سكان القرية، ولكن بعض العشائر أخذت تمارس وبشكل محدود زراعـة الخضروات كمورد غذائي لا كمورد إقتصادي[١٤]. وإن سن الزواج بالنسبة لسكان القرية مبكر، فبالنسبة للذكور يـتراوح مابين (١٨-٢٥) سنة، وأمـا سن البنات فينحصر بين (١٦-٢٠) سنة، والسبب في ذلك يعود الى إنهم يـرون إن الـزواج في مثل هذا السن فيه فائدة إقتصادية، فالمرأة تمثل قوة إنتاجية سواءً في البيت أو في الحقل بنفسها أو عن طريق ماسوف تنجبه من الأولاد، وهي بمثابة أداة تنفيس للرجل عن مشاغل حياته اليومية التي لايجد وسيلة تسلية سواها[١٥]. وبعد أن يستقر رأي الشاب بالزواج من فتاة معينة بناءً على رغبته أو رغبة أهله وبعد السؤال عن أصلها وشرفها وانعدام وجود شائبة في حسب أو نسب أقـارب أمها أو أبيها لأنهم يعتقدون إن

(العرق دساس)، يتوجه أبو الفتى بصحبة جماعة من وجهاء وحدته العشائرية التي ينتسب إليها وبعض من رجال وحدته المكانية التي يسكنها في القرية الى بيت والد البنت، وبعد الجلوس وشرب الشاي أو القهوة يحاول أحد الحاضرين أن يبين سبب مجيئهم وبأنهم يريدون ابنته لابن فلان[١٦].

وعندما تتم الموافقة على الزواج، يتفق الطرفان على مقدار الصداق (المهر)، ويدفع والد الفتى المبلغ الى والد الفتاة، وفي أغلب الأحيان يأخذ والد الفتاة صداق إبنته ولا يترك لها إلا جزءً يسيراً جداً لتشتري لها بعض الحاجيات البسيطة. أما في حالة الزواج بين الملاك وأصحاب البساتين من الأثرياء فأن هؤلاء يعزفون عن أخذ مبلغ الصداق وإنما يعطى جميعه لأهل الفتى ليشتروا المستلزمات الضرورية، ويسدوا به نفقات الزواج وما يرافقه من إحتفالات وولائم. وتمثلت أثاث الزواج ومتطلباته عند الفلاحين من ملابس جديدة للعروس وحلي ذهبية، (الخزامة، الحجل، التراجي، الآساور) فضلاً عن سرير كبير و(مرفع)، صندوق صغير أو دولاب (كنتور)، وفرش جديدة وأدوات وأواني للطبخ. وفي حالة زواج ملاكي الأرض والأثرياء فإنهم يشترون حلياً ذهبية ثمينة وأثاثاً ذا نوعية وجودة عالية وملابس حريرية من النوع الفاخر[١٧].

يأخذ الزواج طابعه وشكله الشرعي بمجرد قيام رجل الدين بعقد القران بينهما، والذي لايتم الا في يوم الزفاف. ويساهم ذوو المتزوج وأقاربه في تكاليف الزواج عن طريق تبرعهم بمبالغ مالية معينة كل حسب مقدرته وإمكانيته. وفضلاً على المساعدة المتقدمة، فهم يقدمون له مساعدة أخرى في مساء ليلة الزفاف في الإحتفال الذي يقام لأجل ذلك، بحضور رؤساء الوحدات القرابية من ملاك المنطقة التي يتزوج فيها، فيقوم أحد الوجهاء ويدعوا للتبرع النقدي ويمسك بورقة وقلم ويسجل جميع أسماء المتبرعين والمبالغ التي دفعوها، حتى لاينسوا إسم المتبرع والمبلغ الذي دفعه، إذ يعد ذلك ديناً مؤجلاً وهو نوع من المساعدة المتبادلة، وهذا ما يسهم في تقوية العلاقات والروابط الاجتماعية فيما بينهم[١٨].

يذهب في مساء ليلة الزفاف مجموعة من النسوة قريبات الزوج لإحضار العروس، مع من يرافقها من قريباتها، ويركبونها فرساً، وفي الأماكن النهرية قارباً، ويتقدم هذا الجموع بعض الرجال فرساناً، فتكثر الهوسات وتطلق العيارات النارية في الفضاء الى أن يصلوا الى بيت الزوج، ويستقبلهم أهل العريس وأقاربه بعد أن هيأوا لهم القهوة وحضروا العشاء. ويستمر الإحتفال حتى منتصف الليل تقريباً، ويظل العريس ملازماً للمضيف مدة سبعة أيام ولايفارقه إلا ساعة النوم، وفي أثناء هذه الأيام السبعة يفد إليه أصحابه ومعارفه مستصحبين معهم الهدايا كالأغنام أو بعض المواد الغذائية، كالرز أو الشاي والقهوة والسكر أو أموالاً تقدم تخفيفاً للمصاريف التي تكبدها طيلة أيام عرسه، وبانتهاء اليوم السابع يعود الزوج لمارسة أشغاله المعتادة[١٩].

شاع بين أبناء الريف وبحكم الشريعة الإسلامية تعدد الزوجات، فأبيح للرجل أن يتزوج بإثنين وثلاث وأربع، تماشياً مع ظروف حياتهم الاقتصادية والاجتماعية في القرية التي حتمت ذلك، لغرض الإكثار من الأبناء وتكوين علاقات مصاهرة جديدة أو قد يكون الزواج بأكثر من زوجة بسبب وفاة الزوجة السابقة أو طلاقها – ونادراً ما يحدث هذا – أو كون الزوجة تلد البنات فقط، لذلك يسعى الى الزواج بأخرى توقعاً لإنجاب الذكور خوفاً من تلاشي ثروتهم وذهابها الى أزواج بناتهم، وهذا النمط من الزواج شائع في الغالب عند ملاك الأرض[٢٠].

وإنتشر في مجتمع القرية وبشكل واضح الزواج من بنت العم (الزواج الداخلي)- كما مر ذكره- أو زواج الأقارب بالأقارب الذي لايتطلب شروطاً أو مطاليب، الا إن ذلك لايمنع من وجود أنواع أخرى للزواج منها، الزواج من الغريب وزواج الفصل وزواج الإتفاق والسفطة والخطف (النهيبة)، وهناك نمط آخر من الزواج يطلق عليه محلياً (زواج الكعيدي). وتقف أمام زواج الغريب الكثير من العقبات التي قد تؤدي غالباً الى عدم وقوعه، ومن هذه العقبات (النهوة)، الحاصلة من إبن عم البنت (المخطوبة)، لمنع الشخص الغريب الذي يريد الزواج منها، فأبناء العم هم أحق ببناتهم سواءً من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة[٢١]. وللنهوة شروط وقواعد منها، أن يكون الناهي من أقارب الفتاة من جهة أبيها لا من جهة أمها، وأن يكون الناهي أو أحد أقاربه على إستعداد عند نهوته بالزواج من البنت، وأما إن كان الغرض من النهوة لمجرد المنع فلأهل الفتاة الحق بتزويجها الى أي شخص ماعدا الخاطب السابق. وعلى الخاطب الأول أن يأخذ جماعة من الوجهاء والتوجه بهم الى بيت إبن أو أبناء عمها لترضيتهم قبل أن يشيع أمر النهي، وعلى الرغم من ذلك فالرئيس الوحدة العشائرية أو العائلة إعطاء الفتاة دون إعتراض أي شخص ما على ذلك، وهذا يدل على إحترامهم لرئيس وحدتهم أو عائلتهم، لإعتقادهم إن هؤلاء لايعطونها الا لمن وثقوا فيه[٢٢].

وتتم النهوة عن طريق إرسال الناهي رسولاً يحمل الى المنهي نبأ بعدم الموافقة على الزواج من البنت التي تقدم لخطبتها، فإن إمتنع فيها، والا إضطر أن يواجهه شخصياً ويكرر عليه النهوة، فعند ذلك يقع الخطيب بين أمرين، أما العدول عن العمل وإما إرسال (المشاية)، لترضية الناهي بكل السبل، وإما الإستعداد لملاقاة حتفه في حالة إصراره على الزواج، فإن قتله أمر مؤكد من قبل أبناء عم الفتاة، ولهم الحق بذلك، ومن بعدها يقومون بإرسال جماعة من الوجهاء والأجاويد للترضية وتأدية فصل (دية)، ذلك القتيل الى أهله وعشيرته بعد حضورهم الى دار القتيل مع عدم الإعتذار، والسبب في ذلك يعود الى إن القاتل أنهى القتيل قبل الزواج بقريبته. وقد وجد نمط آخر من الزواج، ولكنه نادراً مايحدث وذلك لما يترتب عليه من قتل ومنازعات، وهو (زواج النهيبة)، أو الخطف نتيجة عشق وغرام أو عداء،

والزواج بها دون رضا أهلها لوجود موانع من زواج الرجل بالفتاة التي أحبها من قبل أهلها أو أقاربها. ويعتقد الرجل إن هذه الطريقة تجبر أهل البنت إعطائها له أو يرغم الفتاة على قبول الزواج منه[٢٣].

وتحل القضية في بعض الأحيان عند نهب البنت، عن طريق إرسال جماعة من وجهاء القرية الى أهلها للتباحث وتعويضهم بإعطائهم بفتاة عذراء تسمى (المگبعة)، عوضآ عن بنتهم، أو إعطائهم مبلغاً مالياً يعرف (بالحشم)، ويكون هذا حسب قواعد العشيرة المنهوب منها، وأكثر العشائر لا ترضى بالفصل لإن هذا الزواج في نظرهم يجلب العار للعشيرة، فيقتلون إبنتهم والناهب سوياً، لاسيما إذا ما كانت الفتاة من عائلة محترمة أو من أحد بيوتات رؤساء أفخاذ القرية وكان لها إخوان وأقارب، وفي هذه الحالة لا فصل لأهل الناهب عن إبنهم، وإذا لم يكن لديها أقارب وكانت غريبة لا تربطها أية رابطة بالعشيرة فتسوى القضية بموجب العرف العشائري المعمول فيه[٢٤]. وتسمى ظاهرة قتل المرأة عند الإشتباه بسلوكها (غسل العار)، وهذه العادة موجودة في كثير من البلدان العربية، وكانت أوسع إنتشاراً في الريف العراقي[٢٥]. وذلك يعود لإستفحال ظاهرة التناشز الاجتماعي في تلك المناطق الريفية[٢٦].

وشاع بشكل واسع في مجتمع القرية نمط الزواج المعروف بـزواج الإتفاق أو التبادل (زواج گصة بگصة)، ويسمى بهذا الإسم لأن الرجل يزوج إحدى بناته أو أخته مقابل تزوجه بأخت أو بنت أو قريبة رجل آخر، وكان للعامل الاقتصادي دور مؤثر في إرساء تقاليد هذا الزواج، وذلك لإنخفاض تكاليفه، إذ يقوم المتزوج بإعطاء قريبته ويأخذ بالمقابل إمرأة ولا يدفع أي مبلغ لقاء ذلك، وإنما بمجرد تحديد مقدار صداقها إسمياً وهو ما يعرف أحياناً بزواج الصدق[٢٧]. وكذلك وجد في القرية (زواج الفصل)، وهو كجزء من التعويض في الفصول العشائرية أو قضايا الحشم، فقد تتفق العشيرتان على الصلح بينهما على وفق إعطاء عدد من النساء الى العشيرة المقتول منها أو المعتدى عليها[٢٨].

أما (زواج الگعيدي)، يحصل هذا الـزواج في حالات معينة، عندما يقيم الزوج مع أهل زوجته في مسكنهم، لاسيما عند افتقار أحد الرجال للذكور في ذريته، فيزوج إبنته لرجل ما، ليكون بمثابة إبن له يسانده في مجمل نشاطاته الاجتماعية والاقتصادية، إلا إن ذلك نادراً ما يحدث، لإن أهل القرية يرون إنه من المخجل على الرجل أن يعيش تحت رحمة أب زوجته وينظرون إليه نظرة احتقار ويعدونه شخصاً ضعيفاً غير قادر على تكوين بيت من جهده. وجد في القرية نمطان من الزواج الثانوي، النمط الأول هو الزواج من أخت الزوجة المتوفاة وقد فضل أهل القرية هذا النمط من الزواج، إذ إن أخت الزوجة المتوفاة تكون رعايتها لأبناء أختها أفضل من رعاية الزوجة الغريبة لهم، وكذلك الحال بالنسبة للنمط الآخر من الزواج الثانوي، وهو زواج الرجل بزوجة أخيه المتوفى، فرعاية العم لأبناء أخيه أفضل من رعاية الزوج

الغريب لهم[٢٩]. ويضاف الى أنواع الزواج التي سبق ذكرها، نوع آخر من الزواج هو (زواج السفطة) أو(الهبة)، وبموجبه يهب أحدهم إبنته أو إحدى قريباته الى شخص ما يراه أهلاً بها، لاسيما للسادة من ذرية رسول الله ﷺ، للتبرك بهم، وأحياناً لبعض اثرياء القرية من أجل العزة والجاه[٣٠].

ثانياً: الزواج في المدينة: أصاب المجتمع العراقي بشكل عام ومجتمع مدينة كربلاء بشكل خاص جانب من التغيير النسبي في بعض الميادين الاقتصادية والاجتماعية خلال المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني، مقارنة بالمراحل السابقة التي اتسمت بالتخلف والركود في كثير من جوانب الحياة المختلفة، ومع ذلك بقيت حياة المرأة في المدينة واحدة من تلك الجوانب التي لم تشملها أية محاولة للتطور خلال المراحل السابقة[٣١].

كانت المرأة في مدينة كربلاء تقضي معظم أوقاتها داخل المنزل، وحتى إذ ما أتيحت لها فرصة الخروج فهي أما أن تكون لغرض الزيارات لأحد أقاربها، شريطة أن يأذن لها الزوج بذلك، وقد تخرج النساء أحياناً من الدار في غير هذه الزيارات سواءً لتقديمها التعازي في المآتم لجيرانها أو أقاربها أو حضور المناسبات الدينية والاجتماعية أو الذهاب الى الحمامات الشعبية. وقد عاشت في عزلة تامة عن الرجال حتى داخل بيتها، إذ كانت تقيم في أماكن خاصة من البيت ولايمكنها الإلتقاء بهم، ولا يفتح في هذه الأماكن أي منفذ يطل على الطريق، وهذا بطبيعة الحال نابع عن الثقافة التي كانت سائدة حينذاك، والتي كانت من حيث مضمونها الجوهري لاتختلف كثيراً عن المنطلقات العشائرية والدينية التي ترى في المرأة رمزاً للعز والشرف، مما أستدعى المحافظة عليها بأي ثمن كان. وتشير الدلائل التاريخية الخاصة بموضوع المرأة خلال فترة الإحتلال العثماني الأخير، الى إن دور المرأة في مدينة كربلاء لم يكن يتجاوز دورها داخل الأسرة وإدارة شؤون المنزل وتربية الأولاد، وفي بعض الأحيان مارست البعض منهن الأعمال والنشاطات الاقتصادية، إلا إن مساهمتها إختلفت بإختلاف وضعها في المدينة، فنساء الطبقات العليا لم يكنَّ مطالبات بالقيام بنشاطات إقتصادية كتلك التي تمارسها النساء في الطبقات الوسطى والدنيا كعملهن في صناعة الغزل المنزلي والخياطة، ولهذا إنصرفن الى مزاولة شؤونهن النسوية الخاصة مثل، الإفراط في إقتناء الملابس المختلفة والمجوهرات وغيرها[٣٢].

ويبدو إن الإجراءات التقليدية الخاصة بمراسيم الزواج في المدينة لاتختلف كثيراً عن مثيلتها في الريف، ماعدا بعض الإختلافات البسيطة، فعندما لايكون للفتى إبنة عم يتزوجها، يفتش له أهله عن فتاة تتمتع بالسمعة الطيبة، لتكون رفيقة حياته المستقبلية. تمثلت الإجراءات التمهيدية للخطبة بالسؤال عن الفتاة وعن مستواها الطبقي، لكي تكون ملائمة لأطباعهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبعد التوصل الى النتائج المرجوة تتفق النساء(أم – أخت) الشاب أو من أقاربه على خطبة الفتاة المعنية[٣٣]. فيذهبن

الى أهل الفتاة ويطرحن رغبة قريبهن بالزواج من إبنتهم، وتكون هذه الخطوبة بمثابة إختبار لموافقة أو رفض الطرف الثاني (أهل البنت)، أو محاولة التعرف عليها عن قرب إن لم تكن هناك معرفة سابقة بها، ومن المحتمل أن يرفض أهل الفتاة ذلك العرض، لأسباب معينة، أما لعدم معرفتهم بالرجل معرفة عميقة أو عدم رغبة الفتاة بالزواج إن لم تكن مجبرة على ذلك، وقد تمهل عائلة البنت أياماً قلائل للتأكد والسؤال عن طبيعة حياة وسمعة ونسب الشاب المتقدم للزواج منها[٣٤].

أما إذا تمت الموافقة بين النساء، يعدن لإخبار الرجل بذلك، ليتهيأ وفد من الوجهاء (المشاية)، بالذهاب الى أهل الفتاة، ويدور الحوار فيما بينهم، وقد تتم الموافقة على الزواج أو لا تتم، ويعود سبب ذلك، الى إختلافهم أحياناً حول مقدار الصداق (المهر)، أما إذا حصلت الموافقة، يحدد ذوو الفتاة المهر، المتقدم والمتأخر(الحاضر والغائب)، ليدفع المتقدم منه ويسجل المتأخر فيما بعد بوثيقة رسمية في المحكمة الشرعية، وفي العادة لايرى الرجل الفتاة التي سيتزوجها إلا في ليلة زفافه[٣٥]. ويستلم أهل الفتاة مهر إبنتهم بعد قراءة سورة الفاتحة، ومن ثم يقرر يوم من قبل أهل الفتى لإحضار نيشان الخطوبة للبنت، والنيشان، عبارة عن الحلقة الذهبية مع (اللفة)، التي تحوي في الغالب قطعة قماش وساعة يدوية وعلبة مكياج وليفة وصابونة رقي وشيشة عطر، وفي المقابل يرسل أهل الفتاة الى الرجل كذلك الحلقة وبعضاً من الملابس الخاصة به، وبعد مرور فترة لاتتجاوز الشهر تقريباً، يكون أهل العروس وبالإشتراك والتشاور مع أهل العريس قد أكملوا أثاث العروس (الجهاز)، وأرسلوه الى الغرفة المعدة لها في بيت الزوج[٣٦].

يحدد موعد الـزواج من قبل الطرفين، وهو في العادة يكون أما (ليلة الجمعة)، أو (ليلة الأثنين)، وهاتان الليلتان إعتاد كل من أهل الريف وأهل المدينة على الـزواج فيهما خوفاً من النحس والشر الذي قد يصيب عائلتي الزوجين. وفي اليوم المقرر للزفاف، تذهب مجموعة من النساء من أقرباء الرجل الى أهل الفتاة لإكمال تزيينها وإحضارها الى بيتها الجديد سيراً على الأقدام، أما إذا كان الطريق طويلاً فيجلبن معهن حينذاك كرسي يجلسن عليه العروس لتستريح في وسط مظاهر البهجة والسرور، إذ يتألف موكب الزفاف من النسوة، تحمل الآتي تحمل إحداهن مـرآة العروس وإثنان يحملن الشموع، ليزغردن الأخريات ويهزجن ببعض الأهازيج المعروفة مثل: يافلان جبنة عروسك مو ببلاش بفلوسك، وجبناه وإجت ويانة من شيل الزلف تعبانة وغيرها، وهكذا تنتهي المسيرة ببيت العريس[٣٧].

وعند وصول العروس عند باب البيت المذكور ترفس بقدمها (اللكن)، وهو إناء مملوء بالماء يستخدم لغسل الأيدي والأرجل، فتسكبه في فنائه وتعبره ثم تضع يدها اليمنى في طبق الرز غير المطبوخ الذي تحمله إحدى قريبات العريس وتضيفه فيما بعد الى

كيس الرز الموجود لكي يجلب البركة الى العائلة حسب إعتقادهم، ويذبح عند قدميها وهي ماشية في صحن الدار خروف أو دجاجة، ويعد ذلك (تجراد دم)، لإبعاد الشر والأذى المتوقع أن يصيبها نتيجة لغيض حسادها أو حساد عريسها[٣٨]. وأما زفة العريس، يسبقها إجراءات اعتادوا القيام بها متمثلة بذهابه الى الحمام مع أصدقائه وذويه على حسابه الخاص، إذ يستغل الحمام لفترة زمنية معينة حكراً له ولأصدقائه، ثم يلبس ملابس العرس الجديدة، ليتوجه بعد ذلك الى داره مع من رافقه في زفة شعبية حيث تستقبلهم النسوة بالزغاريد (الهلاهل)، فرحاً وابتهاجاً بهذه المناسبة[٣٩].

يقيم أهل الزوج مأدبة عشاء أوغداء لهذه المناسبة يتم دعوة الأقارب والأصدقاء والجيران إليها. وفي المساء وعند دخول العروس غرفتها يجلس رجل الدين عند الباب لإكمال مراسيم عقد القران بين العروسين، وفي العادة يظل العروسان لسبعة أيام من دون عمل ولا تفارق العروس البيت طيلة هذه المدة. أما الرجل فبإمكانه الخروج لتقبل تهاني من وفد إليه من الأقارب والأصدقاء، وبعد إنتهاء هذه الفترة يخرج الزوج مع زوجته وبصحبة والده ووالدته للذهاب الى أقرب مرقد لآل البيت عليهم السلام، أو الى ضريح الإمام علي أو أحد أبنائه (عليه وعليهم السلام)، لإداء مراسيم الزيارة، ومن ثم يطلب أهل الفتاة من إبنتهم وزوجها وأهله الحضور لتناول وليمة الغداء أو العشاء المقامة في دارهم، وبذلك يكسرون الطوق الذي ضرب على الفتاة خلال أيام الزواج السبعة وتسمى هذه العملية (بفك رجل العروس) أو (كشف الوجه)[٤٠].

المبحث الثاني: تأثير العادات والتقاليد على تعليم المرأة الكربلائية.

ظل العراق في حوزة الدولة العثمانية منذ عام (١٥٣٤م) وحتى عام (١٩١٨م)، فكان خلال تلك القرون المظلمة واحداً من جملة الأقطار الإسلامية التابعة لها، والتي تخضع في إدارتها وتسيير شؤونها الى مشيئة الباب العالي في أغلب الأحوال والظروف[٤١].

فبعد أن كان العراق من البلدان التي لها ماض عريق في الحضارة والمدنية، وبعد أن كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومنارة العلم، أصبحت هذه البلاد مركزاً ثانوياً من مراكز الدولة، وباتت في العهود العثمانية في حالة يرثى لها من التأخر العلمي والتقهقر الثقافي، حتى لم يعد فيها من معاهد العلم سوى الجوامع والمدارس، واقتصر التدريس فيها على شؤون الدين وما يتصل به من علوم أخرى[٤٢].

ولما كان العثمانيون من السنة حنفيي المذهب، فقد ساروا في العراق على تأييد المذاهب السنية الأربعة، مستثنين من ذلك رعايتهم للمذهب الشيعي الذي يشكل أتباعه الجانب الأكبر من البلاد. فلقد كان الولاة في مختلف الأدوار يقومون بتأسيس المدارس ويوقفون لها الأوقاف الخيرية، في حين كانت الطائفة الشيعية تقوم بإنشاء المدارس الخاصة بها بعيداً عن تشجيع الولاة أو مساعدتهم المالية، بل معتمدة في

ذلك على الحقوق الشرعية ومايرد لها من أموال التركات والأوقاف والتبرعات والهبات التي يقدمها المحسنون من أتباع ال البيت عليهم السلام، لهذه المدارس الدينية[٤٣].

كانت الثقافة في العراق في القرن التاسع عشر، تسير في خطين متوازيين، أولهما مارسمته الحكومة بتأسيس المدارس الرسمية لتعليم الطلبة. ويعد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م)، في مقدمة الولاة الذين حضيت الحركة التعليمية والثقافية في عهده ببعض الرعاية والإهتمام[٤٤].

وأشار الى ذلك بقوله: ((الأهلون لائقون لكل تعليم وإنهم يستطيعون أكثر من غيرهم التقدم عند توفر الفرصة))، وقد أصدرت الحكومة العثمانية في (٢٠ أيلول ١٨٦٩م)، قانون المعارف العام الذي تأسس بموجبه نظام مدني كامل للتعليم الرسمي التابع للدولة مباشرة[٤٥]. أما الخط الثاني فهو الذي يمثل التعليم غير الرسمي وهو التعليم الديني المتمثل بـ (الكتاتيب)، المنتشر في أغلب مدن العراق[٤٦].

وكانت مدينة كربلاء كغيرها من مدن العراق التي تعتمد في تحصيلها العلمي والأدبي على هذا النوع الأخير من التعليم وهو الشكل الوحيد لأنماط التعليم فيها منذ السيطرة العثمانية على العراق وحتى عام (١٩١٧م) وبقيت الكتاتيب في مدينة كربلاء على حالها لإن العثمانيين لم يهتموا بفتح المدارس في المناطق الشيعية[٤٧].

أطلق لفظ الملة[٤٨]. على من يتولى التعليم في الكتاتيب، التي أصبح إنتشارها في مدينة كربلاء أمراً ملحوظاً في ظل وجود رجال الدين واهتمامهم بها[٤٩]. وقد تمتع الملة بصلاحيات واسعة في تأديب الصبيان، باللجوء الى الضرب بالعصا حرصآ على إداء الواجب والإلتزام بالهدوء، والذي خولهم بذلك الآباء، إذ إن الأب كان يقود إبنه الى الكتاب وبعد أن يتفق مع الملة على الإجور يخاطبه قائلاً: ((هذا إبني لك منه اللحم ولي منه العظم))، أي إن الآباء كانوا يرون في المعلم (الملة)، المهذب الأول لأولادهم، ويعطونه الحق على تأديبهم ومعاقبتهم بأقسى العقوبة إن هم أساؤوا التصرف والأدب أو قصروا في أداء واجباتهم[٥٠].

أقام عدد من مثقفي ومتعلمي المدينة عدداً من الكتاتيب لتعليم الصبية فيها منها، مدرسة الشيخ علي التركي في محلة الكص، ومدرسة شيخ عليوي في محلة سيد حسين، ومدرسة الشيخ كافي في محلة الطنبي، ومدرسة محمد جواد أبو حربية التي تقع حالياً في محلات العذاري. أفتتحت أول مدرسة إبتدائية حكومية في مدينة كربلاء في عام (١٩١٧م)، وموقعها حالياً على الجانب الشرقي من مستشفى كربلاء القديم، وكان التدريس فيها باللغة العربية[٥١].

أما في المناطق الريفية، فلم يصل التعليم إليها وظل أطفالهم بعيدين عن تلك الكتاتيب والمدارس، واقتصر على بعض أبناء الشيوخ والملاكين، وكان يتم

تعليمهم بطريقة بدائية، عن طريق قيام رجال الدين بتعليم الصبية قراءة القرآن الكريم وتسمى هذه الطريقة بـ (الأبجدية)، ويكون مكان التدريس هو مضيف الشيخ.

وإن عرقلة إنتشار التعليم في الريف ينبع من مشاكل البلاد الإقتصادية والإجتماعية، فلسوء الواقع الإقتصادي والظروف المعيشية الصعبة، يضطر الفلاح الى تشغيل أبنائه معه في الأرض الزراعية بدلاً من إرسالهم الى الكتاب، وكثيراً ما كان يعمد أولئك الملاكين الى ما يحول دون إنشاء مدارس في قراهم وذلك لإعتقادهم إن الفلاح المتعلم لا يمكن إستغلاله بالسهولة التي يستغلون بها الفلاح الجاهل، ولإن المدرسة تحرمهم من الأيدي العاملة في حقولهم(٥٢).

وما يخص تعليم المرأة، فقد كانت هي الأخرى فرصة تعليمها أقل من فرصة تعليم الرجال في المدينة، وإنعدامها في الريف، وذلك لخضوعها لتقاليد صارمة في تعلم القراءة والكتابة، كون الكتابة والقراءة تؤدي حسب نظرة المجتمع الى إفسادها، لإنها إن تعلمتها توصلت من خلالها لإغراض مشينة، لإن الإنسان يبلغ بكتابته في أغراضه الى غيره ما لايبلغه برسوله، ولإن الكتابة أخفى من الرسول، فكانت أبلغ في الحيلة وأسرع في المكر والخداع(٥٣).

وعلى هذا يمكن القول إن وضع المرأة في مدينة كربلاء كان غاية في التأخر، بسبب ضغط الحياة عليها من جميع الجهات، ولم يكن لتعليمها شيئاً يذكر، وإن كانت هناك بعض الكتاتيب التي تقوم بإدارتها بعض (الملايات)، يعلمن فيها في الغالب بنات الطبقات العليا والوسطى القرآن الكريم وإصول الدين، وهذا بطبيعة الحال تحتمه الضرورة في هذه المدينة التي أغلب سكانها هم من الشيعة، من وجود الملايات اللاتي يقرأن قصة مقتل الإمام الحسين وأهله عليهم السلام، في مجالس العزاء التي يستذكر فيها واقعة كربلاء في شهر محرم أو في الأشهر الأخرى، والتي تقيمها نسوة المدينة، فضلاً عن قراءة المواليد الخاصة بآل البيت عليهم السلام، في المناسبات النسوية المختلفة. ومهما يكن من أمر فإن كتاتيب البنات على قلتها أقيمت في بيوت الملايات، وهي تجري على نفس النمط المتبع في كتاتيب الصبيان مع إختلاف بسيط، والذي يشمل تدريبهن على بعض الأعمال اليدوية(٥٤).

المبحث الثالث: تأثير العادات والتقاليد على ملابس المرأة الكربلائية.

مهما ارتدت المرأة في ريف مدينة كربلاء من ملابس محتشمة او وضعت على رأسها وشاحاً، فلا بد من اسدال ستار العباءة السوداء على الجسد من قمة الرأس حتى اخمص القدم. فقد تمثلت ملابسها في العادة من ثوب طويل وعباءة خاصة بها تضعها على رأسها لتتدلى حتى أخمص قدميها، وهي واسعة وذات لون أسود، وغطاءً للرأس يسمى (الشيلة)، أو (الفوطة). اذ يكثر هذا التقليد في المناطق المقدسة، مثل محافظتي كربلاء والنجف، وفي القرى والأرياف

ايضاً. ولأن العباءة تمثل زياً عراقياً صميماً بلونها الاسود الداكن بالنسبة للنساء، وألوانها المختلفة بالنسبة للرجال، فقد كان التنقيب في خفاياها متعة تشوبها فائدة، لما احتواه من معلومات على انواع العباءات وأزمانها وتفاصيل ارتدائها. وان ارتداء العباءة هو امر معروف منذ القدم، فقد كانت المرأة الكربلائية ترتدي العباءة لتخفي ما تلبسه تحتها من ملابس، كما انها تغطي الطفل الذي تحمله وتحميه من الغبار والشمس، وقد تخفي تحتها اغذية او حاجيات تحملها في زياراتها للآخرين او في السوق. وهناك سبب مهم لارتداء العباءة وهو التستر[٥٥].

وتصنع العباءة الشتائية مثلاً من وبر الجمل الطبيعي، وهي نادرة حالياً، اما العباءات الاخرى فيصنع بعضها من وبر الجمل المخلوط مع غزول اخرى او من صوف الأغنام أو من الحرير وتصنع افضل الانـواع من «الكلبدون» الفرنسي الذي يتكون من خيوط من الفضة مطلية بالذهب ويسمى «الكلبدون الذهبي»، بالاضافة الى وجود خيوط فضة مائة في المائة تسمى «الكلبدون الفضي» وهي نادرة[٥٦].

وتميل النساء في الريف في كثير من الأحيان الى تزيين نفسها، من خلال تخضيب أيديهن بالحناء وصبغ الشفاه بقشور الجوز الجاف والذي يعرف (بالديرم)، ويكتحلن بالكحل المعروف (بكحل الحجر)، ويلبسن بعضاً من الحلي الذهبية، وإتخذن من الوشم كواسطة للجمال، ويتم ذلك على يد إمرأة متخصصة تقوم برسم أشكال مختلفة على جسد بعض النسوة بإستخدام الإبرة مع مسحوق تستخرجه من السواد الذي يحيط بقدر الطعام وتعرف هذه الطريقة القديمة (بالدك)[٥٧].

وغالباً ما كان سكان الأرياف رجالاً ونساءً لايرتدون الأحذية، أي إنهم يسيرون حفاة الأقدام، وإرتداها البعض منهم في مناسبات خاصة كزيارتهم المدينة أو مراجعتهم لدائرة رسمية أو غير ذلك[٥٨].

تشابهت ملابس المرأة الحضرية مع ملابس المرأة الريفية المتمثلة بالثوب العريض والعباءة ذات اللون الأسـود المصنوعة من الصوف أو الحرير وغطاء الرأس (الفوطة) أو (الشيلة)، فضلاً على ذلك، فقد ارتدت البعض منهن اللباس المعروف (بالهاشمي)، وهو عبارة عن ثوب واسع فضفاض ذي أكمام وذيل طويل ترده على رأسها من جهة الخلف مصنوع من قماش رقيق جداً ملون بالأحمر أو الأسود أو النيلي مزحرف من الأكـمام ومن جهة الأمـام بالكلبدون (خيوط ذهبية وفضية)، بأشكال نباتية جميلة، ويلبس في العادة فوق الملابس في مناسبات خاصة كالأعياد، أو في المآتم ولاسيما ذا اللون الأسـود السادة منه، واهتمت المرأة في المدينة بزينتها وإطلالتها كما هو الحال عند المرأة في المجتمع الريفي. أما ملابس المرأة اليهودية فهي الأخـرى تشابهت مع ملابس المرأة المسلمة في مدينة كربلاء المتمثلة بالثوب الطويل ذي الألوان الزاهية مع غطاء للرأس، فضلاً عن إرتداء اليهود من النساء والـرجـال في الريف أو المدينة

للأحذية المحلية الفاخرة أو المستوردة، وذلك بحكم مواردهم العالية، واحتكاكهم بباقي المدن الإقليمية والأجنبية أحياناً[٥٩].

الخاتمة

مثلت هذه الأعراف والتقاليد بنية تحتية لكل بناء إجتماعي وقد أثرت مجموعة من العوامل في بناء البيئة الاجتماعية لمدينة كربلاء في هذه المرحلة من تاريخها الاجتماعي، من أهمها الإستقرار العشائري إذ شكلت ظاهرة الشعور بالإنتماء الى القبيلة حالة من الأمن والإطمئنان لأفرادها، وأظهرت الدراسة إن مدينة كربلاء، عربية العادات والتقاليد وتنتشر فيها مظاهر العروبة في شمائل سكانها وممارساتهم الاجتماعية، فالعصبية القبلية، والنخوة، والكرم وحسن الضيافة والدخالة والإلتجاء وحماية الجار والفزعة والتسلط والقوة والجبروت إستمرت ظاهرة في السلوك الاجتماعي لأفرادها، وساهمت ثلاث قيم أساسية في تحديد ورسم سلوك وأخلاق الفرد والجماعة وهي قيم البداوة والعشيرة، وقيم الدين والمذهب، وقيم الحداثة والمدنية، وشكلت الشعائر والممارسات الدينية الشيعية جزءاً من الحياة الثقافية والاجتماعية لسكانها. ميّز المجتمع الكربلائي كثيراً بين المرأة والرجل، ويسجل في تقاليده انحيازاً واضحاً إلى جانب الرجل على حساب الأنثى. ويمكن الاشارة إلى أبرز الصفات التي تلحق بالنساء والفتيات في مدينة كربلاء ذات الطابع العشائري والديني:

– عورة، يجب ألا يسمع صوتها أو يشاهد شعرها، وأن تلبس لباساً معيناً.

– ينظر لها بشكل أدنى، فيسبق أسمها بعبارة «حاشاك المرة»، أي حاشاك المرأة.

– تستخدم في الفصل العشائري كهدية، لفض النزاع.

– دائما تكون في خانة الخطأ، حتى وإن تعرضت للاغتصاب، اذ تعاقب الفتاة أو المرأة في حين يعفى عن الجاني.

– جالبة للعار، يجب تزويجها بأسرع وقت لأنها قد تجلب العار للعائلة، والأمر الخطر أن التشريعات هي التي رسخت مبدأ أن البنت عار.

الهوامش

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص٣٧٦.

(٢) خضيرعباس جبر راضي مريهيج الدبي، المستطاب في تراث العشائر العراقية – عاداتها وتقاليدها وسناينها، د.م، د.ت، ص ص ٣٢–٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٧، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ص ٤٣–٤٤.

(٥) جعفر الخياط، القرية العراقية – دراسة في

أحوالها وإصلاحها، دارالكتاب، بيروت، ١٩٥٧م، ص٤٣.

(٦) طارق نافع الحمداني، مدن العراق وقبائله العربية في العصر الحديث، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٢٣٣.

(٧) ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي في سنوات الإنتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢م دراسة في التاريخ العراقي المعاصر، ج١، ط٢، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٨م، ص ص ٥٣-٥٤.

(٨) عبد الرزاق الهلالي، نظرات في اصلاح الريف، ط٣، بغداد، ١٩٥٤م، ص ص ٣٣٤.

(٩) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٩٧١م، ص ص ٥٢-٥٣.

(١٠) محمد سامي كريم الشمري، الحياة الاجتماعية في لواء الحلة (١٩٣٢-١٩٥٨م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٢م، ص ص٦٧ - ٧٠.

(١١) فائق مجبل الكمالي، قبسات من تراث كربلاء، د.م، د.ت، ص ص ٣٢-٣٣.

(١٢) حسين الجلبي، الزواج والنظام القبلي في جنوب العراق، التراث الشعبي، مجلة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، بغداد، ١٩٧٢م، ص ٩٠.

(١٣) جمعة عيسى صبري الطرفي، أهل الريف في جنوب العراق- حياتهم- تقاليدهم- عشائرهم - شيوخهم - وشخصياتهم -، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٧٨.

(١٤) ضياء شكارة، إلتزامات الجوار في المجتمعات العشائرية، التراث الشعبي، مجلة، العدد (٥-٦)، السنة الثانية، بغداد،١٩٧١ م، ص ص ٤٥ - ٤٩.

(١٥) لويد دولبران، العراق من الإنتداب الى الإستقلال، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢ م، ص٢٤.

(١٦) عزيز جفات الطرفي، مدن عراقية على ضفاف الفرات، ج١، د.م، ٢٠٠٩م، ص ١٥٦.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) عبد الجبار فارس، عامان في الفرات الأوسط، مطبعة التراث، النجف الأشرف، د.ت، ص ص ١٢٠-١٢١.

(١٩) حسين علي النجفي، كربلاء - الحلة - الديوانية قبل ٧٥ عاماً - حياتهم - تقاليدهم - قبائلهم - أشعارهم -، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ١٣٥.

(٢٠) علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع في العالم العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.م، د.ت، ص ص ٥٠-٥٣.

(٢١) عبد الرزاق الهلالي، نظرات في اصلاح الريف، ص ١٣٠.

(٢٢) فريق المزهر ال فرعون، القضاء العشائري، دارالرافدين للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٢٣) حسين علي النجفي، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٢٤) سالم خرب عمير، الأوضاع السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية في الحلة ١٩٢٠-١٩٣٢م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية (إبن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠١٠م، ص ١٣٢.

(٢٥) علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، إنتشارات الشريف الرضي، أمير – قم، ١٤١٣هـ، ص ١٧٩.

(٢٦) التناشز الاجتماعي: مصطلح استعمل لتوضيح ما يقع في الريف العراقي من تناقض أو تصادم بين القيم البدوية التي حملتها القبائل إليه من الصحراء والظروف الواقعية التي تسيطر على تلك القبائل فيه. ينظر: المصدر نفسه، ص ص ١٧٩-١٨٠.

(٢٧) جبريل حمد، عادات وتقاليد دورة الحياة في ريف الشرقاط، التراث الشعبي، مجلة، العدد الرابع، السنة الرابعة، بغداد، ١٩٧٣م، ص١٠٦.

(٢٨) حسين الجلبي، المصدر السابق، ص٥٩.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) علي الوردي، المصدرالسابق، ص ١٧٨.

(٣١) المصدر نفسه، ص ص ١١٤-١١٥.

(٣٢) طارق نافع الحمداني، المصدرالسابق، ص٢٣٤.

(٣٣) سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م، ص٢٠٥.

(٣٤) فائق مجبل الكمالي، المصدر السابق، ص٣٥.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، ص ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) سالم خرب عمير، المصدرالسابق، ص١٣٤.

(٣٩) سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، ص ص ٢١٠-٢١١.

(٤٠) علي محمد الحبيب، التراث الشعبي في الحمراء (توثيقاً)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م، ص ص ١٣٩-١٤٠

(٤١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨م - ١٩١٧م، شركة الطبع والنشر الأهلية ذ.م.م، د.م، ١٩٥٩م، ص٤٢.

(٤٢) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٨م، إطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م، ص ٣٣.

(٤٣) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨م - ١٩١٧م، ص ٤٣.

(٤٤) جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٨م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م، ص ص ٨٠-٨١؛ آلاء عبد الكاظم جبار الكريطي، موقف الفئة المثقفة في كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢م (دراسة تاريخية)، مكتبة الحكمة، كربلاء، ٢٠٠٨م، ص٢٢.

(٤٥) محمد عصفورسلمان، العراق في عهد مدحت باشا (١٢٨٦-١٢٨٩هـ) - (١٨٦٩-١٨٧٢م)، رسالة ماجستير (غيرمنشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ٦٣.

(٤٦) الكتاتيب: هي جمع لكلمة كتاب، وتطلق على أماكن الدرس لدى بعض الأفراد من أهل العلم، ويتم فيها تعليم الأطفال مبادئ القرآن الكريم والحساب والخط وغيرها، وغالباً ماتكون في المساجد والجوامع وفي بعض الأحيان في بيت الملا (المعلم)، وتكون الدراسة فيها دراسة جماعية. ينظر: جميل موسى النجار، المصدرالسابق، ص ص ٧٢-٧٤.

(٤٧) محمد حسين الزبيدي، التربية والتعليم - حضارة العراق، ج ١٢، دارالحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م، ص ٣٠٥.

(٤٨) الملة: أطلقت هذه التسمية على معلم الكتاب، وإنها مشتقة من كلمة (منلا)، التركية أي (من لانظيرله)، أو إنها مصحفة عن كلمة (مولى)، وهي تعني (مربي الصبيان)، وأصبحت لفظة ملا تدل على مكان الكتاب، إذ يقول الصبي: أنا رايح للملا أي ذاهب للكتاب. ينظر: جميل موسى النجار، المصدرالسابق، ص ٧٤.

(٤٩) سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٢٥؛ لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدرالسابق، ص ص ٣٣-٣٤.

(٥٠) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٩١٧م)، ص ٥٧.

(٥١) فلاح محمود خضر البياتي،المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥٢) جميل موسى النجار، المصدرالسابق، ص٧٤.

(٥٣) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٩١٧م)، ص ص٥٩-٦٠؛ انتصار عبد عون محسن السعدي، الحياة الاجتماعية في مدينة كربلاء في العهد العثماني الاخير(١٨٦٩ - ١٩١٤)، السبط، مجلة، العدد السادس، السنة الرابعة، كربلاء، ٢٠١٨م، ص ١٦٢.

(٥٤) طارق نافع الحمداني، المصدرالسابق، ص٢٣٥.

(٥٥) عبد الرزاق الحسني، الأغاني الشعبية، ج١، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٤٩م، ص ١٢.

(٥٦) علي كامل حمزة سرحان. علي طالب عبيد السلطاني، الحلة في عهد الوزراء العثمانيين (١٨٣١-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية، مركزبابل للدراسات الحضارية والتاريخية، بابل، ٢٠١٢م، ص ٥٩؛ نوال محمود محمد، زينة المرأة في بداية القرن الماضي، صدى كربلاء، مجلة، العدد السادس، السنة الثانية، كربلاء، ٢٠٠٧م، ص٤٠؛ محمد عجاج الجميلي، الوشم ظاهرة جمالية في ريف الشرقاط، التراث الشعبي، مجلة، العدد الخامس، السنة السادسة، بغداد، ١٩٧٥م، ص ١١٥.

(٥٧) سالم خرب عمير، المصدرالسابق، ص١٢٩.

(٥٨) عبد الرزاق الحسني، الأغاني الشعبية، ص١٢.

(٥٩) علي كامل حمزة سرحان. علي طالب عبيد السلطاني، المصدرالسابق، ص ص ٤٠-٤١.

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر العربية والمعربة:

١. آلاء عبد الكاظم جبارالكريطي، موقف الفئة المثقفة في كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢م (دراسة تاريخية)، مكتبة الحكمة، كربلاء، ٢٠٠٨م.

٢. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٩٧١م.

٣. جعفر الخياط، القرية العراقية – دراسة في أحوالها وإصلاحها، دارالكتاب، بيروت، ١٩٥٧م.

٤. جمعة عيسى صبري الطرفي، أهل الريف في جنوب العراق– حياتهم – تقاليدهم – عشائرهم – شيوخهم – وشخصياتهم –، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م.

٥. جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٨م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.

٦. حسين علي النجفي، كربلاء – الحلة – الديوانية قبل ٧٥ عاماً – حياتهم – تقاليدهم – قبائلهم – أشعارهم –، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.

٧. خضير عباس جبر راضي مريهيج الدبي، المستطاب في تراث العشائر العراقية – عاداتها وتقاليدها وسناينها، د.م، د.ت.

٨. ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢م دراسة في التاريخ العراقي المعاصر، ج١، ط٢، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٨م.

٩. سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠. _____، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م.

١١. طارق نافع الحمداني، مدن العراق وقبائله العربية في العصر الحديث، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.

١٢. عبد الجبار فارس، عامان في الفرات الأوسط، مطبعة التراث، النجف الأشرف، د.ت.

١٣. عبد الرزاق الحسني، الأغاني الشعبية، ج١، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٤٩م.

١٤. _____، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٧، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٥. عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨م – ١٩١٧م، شركة الطبع والنشر الأهلية ذ.م.م، د.م، ١٩٥٩م.

١٦. _____، نظرات في اصلاح الريف، ط٣، بغداد، ١٩٥٤م.

١٧. عزيز جفات الطرفي، مدن عراقية على ضفاف الفرات، ج١، د.م، ٢٠٠٩م.

١٨. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، إنتشارات الشريف الرضي، أمير – قم، ١٤١٣هـ.

١٩. علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع في العالم العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.م، د.ت.

٢٠. علي كامل حمزة سرحان. علي طالب عبيد السلطاني، الحلة في عهد الوزراء العثمانيين (١٨٣١-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، بابل، ٢٠١٢م.

٢١. علي محمد الحبيب، التراث الشعبي في الحمراء (توثيقاً)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م.

٢٢. فائق مجبل الكمالي، قبسات من تراث كربلاء، د.م، د.ت.

٢٣. فريق المزهر ال فرعون، القضاء العشائري، دارالرافدين للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٤. لويد دولبران، العراق من الانتداب الى الاستقلال، الدار للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٢٥. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

٢٦. محمد حسين الزبيدي، التربية والتعليم - حضارة العراق، ج ١٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١. سالم خرب عمير، الأوضاع السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية في الحلة ١٩٢٠-١٩٣٢م، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية (إبن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠١٠م.

٢. لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٨م، إطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م.

٣. محمد سامي كريم الشمري، الحياة الاجتماعية في لواء الحلة (١٩٣٢-١٩٥٨م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٢م.

٤. محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا (١٢٨٦-١٢٨٩هـ) - (١٨٦٩-١٨٧٢م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

ثالثاً: الصحف والمجلات:

١. انتصار عبد عون محسن السعدي، الحياة الاجتماعية في مدينة كربلاء في العهد العثماني الاخير(١٨٦٩ - ١٩١٤)، السبط، مجلة، العدد السادس، السنة الرابعة، كربلاء، ٢٠١٨م.

٢. جبريل حمد، عادات وتقاليد دورة الحياة في ريف الشرقاط، التراث الشعبي، مجلة، العدد الرابع، السنة الرابعة، بغداد، ١٩٧٣م.

٣. حسين الجلبي، الزواج والنظام القبلي في جنوب العراق، التراث الشعبي، مجلة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، بغداد، ١٩٧٢م.

٤. ضياء شكارة، إلتزامات الجوار في المجتمعات العشائرية، التراث الشعبي، مجلة، العدد (٥-٦)، السنة الثانية، بغداد،١٩٧١ م.

٥. محمد عجاج الجميلي، الوشم ظاهرة جمالية في ريف الشرقاط، التراث الشعبي، مجلة، العدد الخامس، السنة السادسة، بغداد، ١٩٧٥م.

٦. نوال محمود محمد، زينة المرأة في بداية القرن الماضي، صدى كربلاء، مجلة، العدد السادس، السنة الثانية، كربلاء، ٢٠٠٧م.